فلسفة المجتمع

ذوات الطنـــين ...

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

ولم أكد أنتهي من إنشاد صاحبي شعر العبسي ، حتى تقلص وانفرد ، وقد ارتعشت شفتاه ، وانفسحت بينهما مسافة مخيفة ، انطلقت منها هذه الكلمات تتخلج ولا تتحرج : يا أخي ، جنبني شر شعرك هذا ! فما عدت أومن بما للشعر من قيم وأقدار ؛ قلت : أو يؤمن الشعر بمن لا يعرف أواصره وأنسابه ؟

قال : أتريد أن تبرأ من هذا الشعر وفيه جودة التصوير والصدق .. وصاحبي هذا نسيت أن أقدمه لقارئيه ، حتى يطمئنوا إلى مايجري على لسانه من حديث وجدل ... فهو قد ابتعث إلى أوربا بضاعة مزجاة ، ثم ردت بضاعتنا إلينا مهوشة مضطربة ككل بضاعة وافدة من هناك ، تنكر الفصحى وتتهم ثقافتها ، وتعيش بمعزل عن كل ما يقرأ أو يكتب من اليمنة إلى اليسرة ، والعجب الطريف من أمره أن يده اليمنى معطلة ، فهو مع شماله دائماً ، قارئاً وكاتباً ... فصاحبي رجل — أعور العقل واليد — ورحم الله الرافعي ...

قلت له : لن أبرأ من هذا الشعر وإن كان للعبسي ... فقد حدثتك نفسك ، وهي ذكية ، لولا ما يكتنفها من « كثافتك » حدثتك أن جواً خاصاً أعيش فيه يتنفس بهذا الشعر ... والزمن مهما تراخى ، لا بد واصل بوشائج وصلات ، بين مظاهر الحياة ومفاتن المجتمع ...

كان ثمت للعبسي روضة وذباب ... افتتن بهما ، وافتن في تصويرهما ... وقد احتفظ نقدة الأدب ومؤرخوه بهذه الروعة الماثلة في هذين البيتين ، وظلت تتحدر من قمة الزمن ، حتى ترسبت في سفح هذا الجيل ، نابضة بالصدق ، مودانة بالتصوير ...

روضة واحدة كان ينشاها العبسي غردة بذبابها ، مخضلة بنداها . أما أنا وأنت يا صاحبي ، فأينما اتجهنا ، فرياض نواحة بذبابها « الأصيل » مخضوبة بلعابه السام ... وذباب واحد كان يستهوي العبسي بنشيده الموقع المحبوب ، في ضحوة الصبح وصقرة الأصيل ...

وتسمع للذباب إذا تغنى كتغريد الحمام على الغصون[1]

ذباب يترشف ألحانه من كؤوس الزهر البليلة المشرقة في مطالع الربيع ومجالي الطبيعة ، كما يحدث أبو النجم عن روضته الأنف التي تعلل ذبابها من أكاليل الزهر وريحانه

أنف ترى ذبابها تعلله من زهر الروض الذي يكلله

أما أنا وأنت ياصاحبي ، فقذى أعيننا مواكب الذباب الأصيل يستثيرنا بطنينه المُلِح الموصول في غدونا ورواحنا ... ذباب يصوغ أصواته من دم الأخلاق المزيلة الضالة ، ولا ينشط إلا في عتمة الليل ومتاهات الظلام حيث ترهف الآذان ، وتنحط معاني الحيوان ...

ولا تثقل عليك فلسفتي هذه يا صاحبي ، فقد ذكر الجاحظ : « إن للذباب وقتاً يهيج فيه لأكل الناس وعضهم وشرب

اثني عشر سبباً تدل عند ضمها بعضها إلى بعض على صحة ما جاء به ، ليبدو حكما قطيراً ضعيفاً إذا لم ينشر من أسبابه هذه إلا فقرة من سبب واحد .

فلو أن الأستاذ العقاد قد ذكر جميع الأدلة التي أوردتها أو لخصها لا تضح وجه الحق فيما أذهب إليه . بل لو أنه ذكر الدليل الأول وحده كاملا لظهرت النظرية في شيء من قوتها .

* * *

أما النظرية التي ذهب إليها الأستاذ العقاد بصدد الدعائم التي يقوم عليها نظام الأسرة ، وهي النظرية التي عارض بها نظريتي والأدلة التي أعتمد عليها لتأييد هذه النظرية فتحتاج مناقشة هذا كله إلى مقال طويل نرجئه إلى عدد قادم إن شاء الله ، مع تكرار شكرنا للأستاذ الجليل لما قدمه إلينا من فضل ، وما أتاحه لنا من فرصة للتحدث في هذا الموضوع الهام على صفحات الرسالة الغراء .

علي عبد الواحد وافي
دكتور في الآداب من جامعة باريس

---

(١) البيت للمثقب العبدي شاعر تغلبي من شعراء البحرين

دمائهم ؛ وإنما يعرض هذا الذباب في البيوت عند قرب أيامها ، فإن هلاكها يكون بعد ذلك وشيكا »(١)

قال صاحبي : بقي جانب غامض في موقفك من هذه المخلوقات المتواضعة الصغيرة أرجو أن تجلوه لي : لم ترصد أجواء هذه الحشرات عادا عليها أنفاسها ؟ أتنطوي عوالمها على أسرار ومعجزات ؟ قلت : ولست بمحص لك أسرارها ، فهي وحدها بمزاجها ودقة تكوينها سر هذه الأسرار ، ثم في تأملها اعتراف بقدرة خالقها ، ورياضة لنفوس الزارية بها ، ولعل الجاحظ أيضاً يريحك فيمنحك ثقة بها تباعد بينها وبين احتقارك لها ...

أوصيك أيها المستمع المسيخ ، ألا تحتقر شيئاً أبداً لصغر جثته . وإياك أن تسيء الظن بشيء من الحيوان لاضطراب الخلق ولتفاوت التركيب ، ولأنه مشنوء في العين ...

... ولعلك يا صاحبي تصدق أن الذباب لم يكن في أيام العبسي إلا ذباب الربيع الباكر البهيج ، لا تكتحل العين به إلا في موسم وميعاد

أما في أيامك ، فهو كل ما تلقاه حيث أنت . عاكفاً بالليل ، أو سارياً بالنهار

كان في الزمن الأول يقتات نوافح الزهر ، حيث لا يضطرب المجتمع بغير نوازع الحب والكبرياء الدافقة إلى حوض المضاجع والدماء ، أسمعت العبسي ينشد :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

هذا ... كان مشغلة لفن الشعراء ، في قمة الزمن الأول ... كبرياء الحب الصحيح مجلبة لاشتباك الأسنة والسيوف ، عمل النفوس في النفوس صفاء ، ووفاء ، ودماء

أما في «مستنقع» زمنك الأخير يا صاحبي ، فمشغلة الكاتبين لجاجة الذباب .. كما سماها أستاذك الجاحظ فقد أصابه منها شر متطاير وثاب ، ستأتيك قصته في خاتمة الحديث

استقرت لجاجة هذا الذباب الذي أصبحت تعرفه معي ، على أوضاع توائم دواعي الأيام ، حيث يصطرع مجتمعه بأعاصير التعاطف الرخيص العاصف بالنفوس الذليلة ، والضمائر العليلة ، فأطعمه المجتمع شرائح الأعراض ، فامتصها غرداً كفعل الشارب المترنم ، ثم نفثها ، طاقة وجهودا ؛ فاستشرت الأدواء في الأصحاء

... قتل وتجريح وإيذاء ! ! ..

قال صاحبي : أهذا آثرت العافية .. ونجوت ؟ قلت : ولسماحة أخرى يحجزني عن التصريح بها أنك رجل وقذك الورع ، وأسقمتك التقوى ، وتلك التي لم تستطع أوربا أن تبترها منك ! ! وحسبك أن شيئاً وأشياء — تزيد على ما أصاب أستاذك الجاحظ — نالني من شر هذه المخلوقات ، فألفيتني أعدو وأجد ؛ وقد سلبني « الذباب » راحة البال واطمئنان الخاطر ، وقد يئست من استنقاذهما منه ، ضعف الطالب والمطلوب ! وظللت أعدو حتى انتهى الشوط

أأجد يا صاحبي ظلا وأمنا في هذا المكان ؟ حيث لا للشر على الخير سلطان ...

قال قل لي ما كان من أمر الجاحظ حين خرج يريد دير الربيع ، فتلقاه الأندلسي قائلا : مالك يا أبا عثمان ؟ هل من حادثة ؟

قلت ياصاحبي : هذه قصة تطول ... فافرغ لي من شغل غدك ، أكل لك ما كان من شأن أبي عثمان . .

قال : وحينذاك أنبئك عن مصيرك في هذا المكان . ؟

أحمد حسن الزيات الغزالي

(١) الحيوان . الجزء الثالث . ص ٣١٦ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

مكتبة الآداب بالجماميز تقـــدم

تطور الروحة النسائية في مصر

تأليف الدكتورة درية شفيق المفتشة بالمعارف والدكتور إبراهيم عبده مدرس الصحافة بالجامعة

بسطا فيه مراحل تعليم المرأة من عهد محمد علي إلى اليوم ثم تدرجا فيه إلى معالجة أهم مشاكل المرأة الاجتماعية وتعدد الزوجات وتقييد الطلاق وحكم القرآن على ضوء التفسير الصحيح في هذه المسائل وآراء رفاعة رافع والأمام محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول وغيرهم وفي الكتاب فصل قيم عن المرأة الإنجليزية واعتبارها مثلا أعلى للمرأة كزوجة وأم ووطنية